مَجلّة فصليّة محكّمة

تُعنى بعلوم كتاب نهج البلاغة
وبسيرة الإمام علي عليه السلام وفكره

تَصْدُرُ عَنِ

الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة
مؤسّسة علوم نهج البلاغة

مُجازَةٌ من وِزارَةِ التَّعْليمِ العالي والبَحْثِ العِلْميّ
مُعْتَمَدةٌ لأغراضِ التَّرْقِيَةِ العِلْمِيّة

السنة السابعة – العدد السادس عشر

محرم الحرام ١٤٤٤ هـ – آب ٢٠٢٢م

مؤشرات الإصلاح الإداري في نهج البلاغة

Indicators of Administrative Reform in Nahj Al-Balaghah

أ. م. د. راغدة محمد المصري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- لبنان

Asst. Prof. Dr. Raghda Mohammed Al-Masry

Faculty of Arts and Humanities - Lebanon

ملخص البحث

يرسم الاصلاح العلويّ معطيات فكريّة أخلاقيّة ويحدد قوانين إنسانيّة تشكل مبعثاً للمعرفة، في إطار حركة الفرد والمجتمع عبر قيمّها الناظمة للعلاقات الإنسانيّة في مجال العدالة وتحقيق الأمن الاجتماعي. ويعدّ الإصلاح الركن الأساس في النهج السياسي للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسياسته الإصلاحية نتاج لعوامل مترابطة ومتراصة، ودوافع داخليّة وخارجية وهي عمليّة تحوّل وتغيّر لما تعانيه الأمة الإسلاميّة آنذاك، وهي تعنى بمجموعة إجراءات لإزالة الخلل في النظام بطابعها الزماني والمكاني، إلا أنَّ المفاهيم الإصلاحية العلوية بقيت خالدة خارج الزمان والمكان لما تحوي من مضامين إنسانية، يأتي هذا البحث كمساهمة لتبيان ريادة الامام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري، وتبنيه نهجاً ارتبط بشكل وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي. ويطرح إشكاليّة الرؤية العلويّة الإصلاحيّة في نهج البلاغة عبر قراءة مؤشرات الإصلاح الإداري فيه، لما له من ارتباط وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي، للرفع من فاعلية الإدارة ومردوديتها، التي لا تتوقف عند نوعية العاملين بها وأعدادهم، بل بمدى ترشيد الهياكل الإدارية وعقلنتها، ووسيلة للتسيير والتدبير العمومي الذي تنتهجه الحكومات.

الكلمات المفتاحية: الإصلاح، الإدارة، الولاة، الإمام علي

Abstract

The upper reform clarifies moral and intellectual statements, and identifies human laws that form the basis of knowledge, within the framework of the movement of the individual and society through its organizing values of human relations in the field of justice and social security.

Reform is an essential pillar in the approach of Imam Ali bin Abi Talib (peace be upon him), and his reform policy is the result of intertwined and intertwined factors and internal and external motives, but the Alawite reformist concepts remained immortal because of their moral content. This research comes as a contribution from him in showing the leadership of Imam Ali, peace be upon him, in administrative reform, and his adoption of an approach closely related to social and developmental economics. The problem of the supreme reformist vision is posed in Nahj al-Balagha by reading the indicators of administrative reform in it, due to its close connection with the social and developmental economy, to raise the effectiveness and profitability of the administration that does not depend. About the quality and number of its employees, but rather the extent of rationalization of the administrative structures, the means of public administration and the organization pursued by governments.

تُمثل منظومة القيمّ العلويّة الاصلاحيّة الأنموذج الأمّثل لمعالجة إشكاليّات المرحلة التي يعيشها عالمنا الإسلامي- العربي، من جهة مرجعيّتها الثابتة المرشدة للحراك والقيمّ والمثل الإنسانيّة، لما تتضمن من منتج معرفيّ، وعقديّ حضاري متجذر في الإرث الثقافي الإسلامي، وهي منظومة متكاملة محكمة، حيّة متجددة تعبئ نسقا من القيّم للأجيال عبر العصور.

يرسم الإصلاح العلويّ معطيات فكريّة أخلاقيّة ويحدد قوانين إنسانيّة تشكل مبعثاً للمعرفة، في إطار حركة الفرد والمجتمع عن طريق قيمّها الناظمة للعلاقات الإنسانيّة في مجال العدالة وتحقيق الأمن الاجتماعي. ويعدّ الإصلاح الركن الأساس في النهج السياسي للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسياسته الإصلاحية نتاج لعوامل عدة مترابطة ومتراصة، ودوافع داخليّة وخارجية وهي عمليّة تحوّل وتغيّر لما تعانيه الأمة الإسلاميّة آنذاك، وهي تعنى بمجموعة إجراءات لإزالة الخلل في النظام بطابعها الزماني والمكاني، إلّا أن المفاهيم الإصلاحية العلوية بقيت خالدة خارج الزمان والمكان لما تحوي من مضامين إنسانية.

يأتي هذا البحث كمساهمة لتبيان ريادة الإمام علي (عليه السلام) في الإصلاح الإداري، وتبنيه نهجاً ارتبط بشكل وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي. ويطرح إشكاليّة الرؤية العلويّة الإصلاحيّة في نهج البلاغة عبر قراءة مؤشرات الإصلاح الإداري فيه، لما له من ارتباط وثيق بالاقتصاد الاجتماعي والتنموي، للرفع من فاعلية الإدارة ومردوديتها، التي لا تتوقف عند نوعية العاملين وأعدادهم بها، بل بمدى ترشيد الهياكل الإدارية

وعقلنتها، ووسيلة للتسيير والتدبير العمومي الذي تنهجه الحكومات. فكيف يمكننا توظيفها اليوم؟.

مفاهيم ومصطلحات

أجمعت كل المدارس الاقتصاديّة والإداريّة على اختلاف مذاهبها على أنّ الإدارة كفعاليّة، تتولى قيادة أي نشاط إنساني تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً وتنسيقاً، وتحتل مكانة مركزيّة وجوهريّة في قيادة عناصره ومكوناته وتفعيلها، وتحديد مساره[1].

والإدارة هي الجهاز الذي يُسَيّر شؤون الدولة والمجتمع، وهي غير السياسة تقع تحت إمرتها، وهي سلطة ضرورية لا يقوم بدونها مجتمع أو دولة، وهي تعكس في محتواها وتركيبها وآلية عملها المعنى الذي تقوم عليه الدولة وتعبر عنه.

تعددت التعاريف حول الإدارة وقيل هي: فنّ قيادة وتوجيه أنشطة جماعة من الناس نحو تحقيق هدف مشترك[2]. وهي تنظيم وإدارة الأفراد والمواد لتحقيق الأهداف الحكوميّة، وهي فن وعلم إدارة الأعمال[3]. وقيل بأن الإدارة هي عمليّة اجتماعيّة مستمرة، تعمل على استغلال الموارد المتاحة استغلالًا أمثل عن طريق التخطيط والقيادة والرقابة للوصول إلى هدف محدد[4].

الخلافة ونهج الإصلاح العلوي:

طرح الإمام علي (عليه السلام) نهجه الإصلاحي بشكل علنيّ، وقوبل بالرفض، عند رفضه الخلافة بعد مقتل عمر، حين اجتمع الستة، أصحاب الشورى، الذّين عيَّنهم عمر بعد إصابته، وهم: الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وشرطوا على الإمام علي (عليه السلام)، مصادرة حريّته في الإصلاح والتغيير، تحت عنوان الالتزام بسيرة

الشيخين، فرفضها الامام علي (عليه السلام) وقبلها عثمان، فقد ذكر الطبري: "أن عبد الرحمن بن عوف التفت إلى علي بن أبي طالب، قائلاً: هل أنت يا علي مبايعي على كتاب الله وسنة نبيّه وفِعل أبي بكر وعمر؟ فقال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي"[٥].

وذكر ابن الأثير: "أن عبد الرحمن بن عوف دعا عليّاً وقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملنّ بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده، قال علي: أرجو أن أفعل فاعمل بمبلغ علمي وطاقتي"[٦]. فاتجه ابن عوف لمبايعة عثمان بن عفان الذي قبل بهذا الشرط ولم يتحفّظ عليه.

كانت هذه أولى خطوة إصلاحية لمفهوم الخلافة ودورها، التي عن طريقها قام برفض ترسيخ الجيل الأول من المسلمين لتجربتهم السياسية والتنظيمية في إدارة الحكم الإسلامي، وعبرَ هذه الخطوة والتصدي كان التخلي عن منصب الخلافة في المرة الأولى.

تسلّم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان، وكان يدرك، الصعوبات والعراقيل التي ستواجهه، لذلك لم يقبلها إلا بعد إصرارهم عليه، وقال عن السبب لامتناعه عن قبول الخلافة: «**دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وأَلْوَانٌ، لا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ، ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُول، وإِنَّ الآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ، والْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ. واعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ ولَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وعَتْبِ الْعَاتِبِ**»[٧].

وذكر هذا الأمر أيضاً في كتاب أرسله الى طلحة والزبير: «**أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا وإِنْ كَتَمْتُمَا -أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي- ولَمْ أُبَايِعْهُمْ**

حَتَّى بَايَعُونِي.. إِنَّ العَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَاصِبٍ، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ»[٨].

خاض الإمام علي (عليه السلام) في عهده ومسيرته الإصلاحيّة ثلاث حروب، مع من عارض عمليّة التغيير، والعودة الى الدّين المحمدي وإقامة الحكم العادل الرشيد: حرب الجمل وصفين والنهروان، وهي حروب صعبة كانت بهدف القضاء على الفتنة كما قال: «أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ ولَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا واشْتَدَّ كَلَبُهَا»[٩].

الأهداف الإصلاحيّة في نهج البلاغة

استلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان بسبعة أيام، في (٢٥) ذي الحجة عام (٣٥ هـ)، كانت أوضاع الدولة متردّية فوضع خطّة إصلاحيّة شاملة، ركّز فيها على شؤون الإدارة، والاقتصاد، والحكم.

أعلن الإمام علي (عليه السلام) أهدافه الإصلاحية عند توليه الحكم محددا معالم رؤيته السياسيّة: «اَللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلاَ اِلْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ اَلْحُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ اَلْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ اَلْإِصْلاَحَ فِي بِلاَدِكَ، فَيَأْمَنَ اَلْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ اَلْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ»[١٠].

وأوجز سياسته الإصلاحيّة في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر سنة ٣٨هـ ٦٥٨م، ليقوم بتطبيقها: «جِبَايَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا»[١١].

يتضح لنا عبر ذلك أنّ نهج السِّياسة العلويّة في الإصلاح يتضمن:

- العودة إلى الدين المحمدي بعد أن أُغفل عن تطبيقه.
- تحقيق العدالة الاجتماعية.
- تأمين الرفاه الاقتصادي.

• إعمار البلاد.

• القيام بمهمة الأمن والدفاع.

الإصلاح الإداري في نهج البلاغة:

إن الإدارة هي أداة الدولة الأولى في تحقيق أهداف الحكم السياسيّة، وهي وسيلة للسلطة القياديّة، مع اتساع الدولة وتطورها يتزايد اعتمادها على الجهاز الإداري الذي يقوم بوظائف عديدة، فهو ينظم شؤون الدولة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة ويديرها، وتتضح علاقة الإدارة بالسياسة أكثر باعتبارها أداة سياسيّة في مجال الدفاع والاستعداد للحرب، وقديماً اهتمت الإدارة بتقسيم الجيش وتنظيمه، ووضع الخطط العسكريّة للحرب[١٢].

ظهر التقنين والتنظيم الإداري في نهج البلاغة بشكل واضح وجلّي، وكأنموذج على ذلك ما ورد في الرسالة الموجهّة إلى مالك الأشتر، التي تضمنت الإدارة بشكلها التفصيليّ وطرحها دستوراً للإصلاح، شملت أمورًا أساسيّة عدة في مجال تنظيم الأعمال والمسؤوليات الإدارية للإصلاح الإداري عن طريق:

الأمر الأول: تنصيب الولاة الأكفاء.

الأمر الثاني: مؤهلات المستشارين والموظفين والأعوان.

الأمر الثالث: الرقابة والمحاسبة.

الأمر الأول: تنصيب الولاة الأكفاء

يرتكز نهج الإمام علي (عليه السلام) الإصلاحي على رؤيته العقائديّة للسلطة، ويقضي هدفه التربوي عمليّة تغيير وتطبيق لقوانين صارمة في اختيار الولاة والإداريين لتكوين جهاز الدولة. فكان من الضروري اختيار أشخاص مؤهلين عقائديا، ويتمتعون في الوقت نفسه بالعلم والخبرة والمهارة في الإدارة.

عمل الإمام علي (عليه السلام) منذ توليه السلطة، على عزل الولاة الفاسدين، واختار ولاة جدد ممن

يتميزون بجانب روحي وفكري وسيرة حميدة، كعثمان بن حنيف ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، فكانت تعيينات الإمام، أول خطوة للإصلاح الإداري وحلقة أساسيّة لمحاربة الفساد، بعد أن عمل من سبقه على توظيف الأقارب أو العشيرة بعيدا عن أي مبدأ استحقاق، كالخبرة والكفاءة، ونهى الإمام علي (عليه السلام) من تنصيب الأقرباء وتفضيلهم على غيرهم من الناس وحرص على عدم التفرقة على أساس عائلي أو عرقي أو طبقي، وإنما أساس التفاضل هو الأداء الجيد والتقوى.

• واجبات الوالي

ورد في نهج البلاغة مجموعة من الواجبات على الوالي القيام بها، وذكر بعض الخصائص التي يجب أن يتحلى بها ومن أبرزها:

١. العدالة والإنصاف: يعدّ الإمام علي (عليه السلام) رجل العدالة فقد أعطى دروسًا للإنسانية في الرحمة والعدالة والمساواة، فلم يفرق بين الرعية، وقد عمل على تحقيق المساواة بين أفراد الشعب، فلا يجوز التفرقة بين المسلم وغيره، فيقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ. فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ»[١٣].

لم يكفِّر الإمام علي (عليه السلام) أهل الشام ويُستدل على ذلك ما ورد في كتاب أرسله إلى أهل

الأمصار: «وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الإِسْلاَمِ وَاحِدَةٌ، لاَ نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ، وَلاَ يَسْتَزِيدُونَنَا»(١٤).

أوصي الولاة بعدم إفساح المجال أمام خواصهم وبطانتهم، ومنحهم الإقطاعيات وتمليكهم الضياع التي قد تضر بمن يجاروهم من الناس: «إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الأَحْوَالِ وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١٥).

وتجسّدت المساواة في الإصلاح العلوي في:

- المساواة في الحقوق والواجبات.
- المساواة في العطاء.

٢. الصفات الأخلاقيّة: يجب أن تتوفر لدى الوالي صفات أخلاقيّة، ليتمكن من القيام بعمله على أفضل وجه، إذ عن طريقها يستطيع كسب محبة الناس وثقتهم، مما يؤدي الى استتباب الأمن، والتعاون المشترك لإعمار البلاد. وأهم هذه الصفات التي ذكرها في كتابه لمالك الأشتر هي:

- التواضع للرعيّة: «وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ

بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!».

ويشرح في الرسالة كيفية التواضع مع الرعية والتقرب منهم لكسب ثقتهم: «وَاخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ»[١٦].

- عدم العجب والغرور لدى الوالي وامتلاكه الثقة الكبيرة بنفسه، والابتعاد عن الإطراء والمدح، «وَإِيَّاكَ: وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ»[١٧].

٣. الاهتمام بمعالجة المشاكل الواردة إليه، الاهتمام بقضايا الرعية وعدم إهمالها، أمر في غاية الأهمية، لأنّ الناس ستطالبه وتحاكمه على أفعاله. «وَإِيَّاكَ: وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ. وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ»[١٨].

- عدم التسرع في أتخاذ القرارات حتى يتمكن التحقق من الأمور، وعليه أن لا يكون سريع الغضب. «امْلِكْ: حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ. وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ: بِكَفِّ الْبَادِرَةِ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ: وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ... وَإِيَّاكَ: وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْقِعَهُ»[١٩].

- عدم المنّ بالإحسان فهو يقوم بعمله كما عليه الوفاء بالعهد لبقاء الثقة بينه وبين الناس. «وَإِيَّاكَ: وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾»[٢٠].

الواجبات المشتركة بين الوالي والرعية:

إن الواجبات مشتركةٌ بين الوالي والرعية كل تجاه الآخر، فإذا تعاون الوالي والرعيّة كل قام بواجبه، اتحد المجتمع وتعاون وتكامل، وانتشر الأمن، وقضي على الفوضى والفساد. «إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ: اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ. وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ: تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تَضُمَّنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً»[٢١].

ويظهر هذا النص أهم سمات الوالي الصالح التي يمكن تلخيصها بما يلي:

- إقامة العدل.
- التقرب من للرعية ومودتهم.
- زرع ثقة الرعية بالوالي عبر

الإشراف المباشر على أعمالهم، وتشجيعهم والثناء عليهم.

ويجب على الوالي تبيان السياسة التي يتبعها، وتوضيح الأمور التي قد يشتبه بها بعض الأفراد، يقول (عليه السلام): «وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»[٢٢].

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ». وهذا بلا شك يشير إلى مبدأ معاصر في إدارة المجتمع، ألا وهو الديمقراطية أو حرية الرأي.

إن العلاقة بين الوالي يجب أن تقوم على أسس هي:

أ- الإحسان والخدمة.

ب- الإيثار.

ج- الدفاع الكامل عن أفراد الشعب وتحريرهم من كل أنواع الأسر والعبودية.

يجب على الجماهير الشعبية أن تحظى بقيمة أكبر عند الوالي من الخواص ويعود ذلك لعدة أمور يمكن تلخيصها بما يلي:

أ- إنَّ الخواص أشخاص مبذرون يصرفون أموالهم الطائلة بشكل عشوائي، بينما عامة الناس يتصفون بالقناعة.

ب- يشارك الخواص في حل المشاكل التي تتعرض لها الدولة بشكل سطحي، أما عامة الناس فتنبري لإعانتها وإغاثتها فتزيد عليهم الضرائب مثلا، لسد العجز الاقتصادي.

ج- الخاصة لا يتحملون العدل

ويعملون شتى الطرق لعدم تطبيقه، على عكس عامة الناس الذين يطبق عليهم القانون لإثبات هيبة الدولة.

د- الخاصة لا يملكون قدرة الصبر والمقاومة في الظروف القاسية، وهي التي اعتاد عليها عامة الناس.

- عدم الاحتجاب والاستماع الى الرعية فالحاكم يهتم بأمورهم ومشاكلهم، ويستطيع بذلك رجل الدولة قطع قنوات الاتصال التي تحرف الحقائق والوقائع لمصالحها الشخصية. وفي رسالة بعثها الإمام علي (عليه السلام) الى عامله على مكة قثم بن العباس شدد فيه على هذا الأمر:

«وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ وَلَا تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا»(٢٣).

يعود السبب الرئيس للاضطراب والفوضى عدم معرفة الحاكم بالحقيقة، إذ إنَّ أفراد الحاشية المحيطة به تنقل له صورة كاذبة، إذ يزيفون الحقائق. لذلك أكد الإمام علي (عليه السلام) على ضرورة عدم الاستماع إلى هكذا قنوات اتصال، وعليه عدم الاحتجاب عن الرعية لأن ذلك يترك أثرًا سلبيًّا لمن أشار إليه: «فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ. وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ: لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ. وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ

مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَئُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ»[٢٤].

الإشراف المباشر:

إن القائد المسؤول الذي يقف على رأس الدولة يجب عليه أن يتولى مهمة الإشراف المباشر، ومراقبة الأحداث والأمور السياسية والاجتماعية: من قضاء وجيش، وموظفين تنفيذيين وعاملين على تطبيق التشريع، وكذلك مشاكل الناس، وكل ما يتعلق بمصير الدولة، والإحاطة التامة بكل ما يجري من أمور، والعمل على حل المشاكل المستعصية.

يقول (عليه السلام): «ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ. وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا للهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ»[٢٥].

وذكر في نهج البلاغة صنفين من الناس لابد من الاستماع إليهما مباشرة لحل مشاكلهما هما:

- الصنف الأول: عمال الدولة وولاتها لمعرفتهم بالأوضاع السائدة في البلاد فيطلعون القائد الأعلى عليها، الذي إذا لم تصله المعلومات الصحيحة منهم، قد يؤدي الأمر إلى وجود أزمة في البلاد.

- والصنف الثاني: الذي يجب الاستماع إليه حاجات الناس ومطالبهم لكي لا ينقموا على الدولة. «ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ

مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ»[٢٦].

أعطى نهج البلاغة الاهتمام بمبدأ الأخلاق وهو مبدأ تربوي سام، يتمثل بعدم امتهان الحاكم لكرامة وزرائه وأعوانه، والتحاشي عن الازدراء بقيمتهم واحتقارهم وانتقاصهم بملأ من الناس؛ لأن ذلك مدعاة لتهاون الأمة واحتقارها للدولة وموظفيها، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا... وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ»[٢٧].

إيجاد الثقة المتبادلة بين الحاكم والشعب هي من أركان الحكم الصالح، ولأجل تحقيق هذا الهدف على الحاكم أن يتبع سياسة تلبي حاجات الشعب، إن عكس ذلك يؤدي إلى نشوء عداوة بين الرعية والحاكم[٢٨].

«وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ، مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ الْمَئُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ. فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلًا»[٢٩].

ولا بدّ من توضيح الأمور التي قد يشتبه بها بعض أفراد الرعية، يقول (عليه السلام): «وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ»[٣٠].

اختيار الموظف الإداري: وضع الإمام علي (عليه السلام) شروطًا

لاختيار الموظف، منها:

«ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ: أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ: أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَراً»[٣١].

يجب على الموظف الإداري أن يتميز بجملة من الأمور منها:

- **الكفاءة والخبرة:** «فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَاراً»، أي يجب امتحان الموظف قبل تعيينه لمعرفة قدراته وملكاته التي تخوله العمل في ذلك المنصب، لا تصح تولية الموظف «مُحَابَاةً وَأَثَرَةً» وإنما وفق كفاءته المهنية وعلاقاته الاجتماعية.

- **السيرة والسمعة الحسنة** ركز الإمام علي (عليه السلام) على الوسط الاجتماعي والعائلي، وذلك يعود لكون البيوت الصالحة العريقة في الإسلام تتصف بالانضباط والاستقامة على الأمر الشرعي، وتربي أبناؤها وتنشؤوا تنشئة إسلامية صحيحة، ويجب الاطلاع عند اختيار أحد الناس للعمل إذا كان صاحب سيرة حسنة يعرف بها، ومما يمتلكه من صفات يتميز بها، ويركز الإمام علي (عليه السلام) على توظيف أبناء «الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ» لما تتركه التربية والتنشئة من أثر في تكوين شخصيته: «وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ: فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَراً، وَأَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لله وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ.....»[٣٢].

- **المستشارون:** جاء في نهج البلاغة ذكر أهم النقاط الحسّاسة بشأن

تعيين المستشاريّن وهي: نزاهتهم من السوابق السيئة الموروثة من الأنظمة الفاسدة وغير المشروعة، وإلا فهم غير جديرين بالثّقة، لأنه لا يمكن استئصال الانحراف والضعف المزروعين في نفوسهم من العهد السابق، كما وُضعت حدودا وأُطرا للمشورة لتعطي النتيجة المتوخاة، فلا يجب استشارة:

• البخيل. • الجبان. • الحريص.

يقول (عليه السلام): «وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ، إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَآثَامِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِماً عَلَى إِثْمِهِ أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَئُونَةً وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ»[٣٣].

شدّد الإمام علي (عليه السلام) على مسألة المشورة فكل عمل يعتمد على ركنين أساسين لينجح: «التفكير والمشورة» فالتخطيط السليم هو بحاجة ماسة للاستفادة من آراء الآخرين وخبراتهم، ومن أقوال الامام علي (عليه السلام): «لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ»[٣٤]. «وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ»[٣٥].

إن النَّصيحة وبذل المشورة أمر مطلوب من كل شخص يملك فكرًا وخبرة تؤهله لذلك: «فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ -وَإِنِ اشْتَدَّ عَلَى رِضَى اللهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ- بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ.

وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ امْرُؤٌ -وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ- بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ. وَلاَ امْرُؤٌ -وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ- بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[٣٦].

مؤشرات الفساد الإداري

عرض نهج البلاغة مؤشرات الفساد الإداري الذي يظهر في مؤسسات الدولة، وعمل على علاجها للقضاء على مظاهر الفساد والأخطاء التي تقع فيها الإدارة. وأبرز هذه المؤشرات:

١. تفضيل الأقارب

نهى الإمام علي (عليه السلام) من تنصيب الأقرباء وتفضيلهم على غيرهم وجعل أساس التفاضل هو الأداء الجيّد والتقوى. فقد جاء في نهج البلاغة: «ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ. وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَئُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ

قَرَابَتِكَ، وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ»[٣٧].

٢. الفراسة.

أشار نهج البلاغة إلى ظاهرة اجتماعية ساهمت في انتشار الفساد، وهي اعتماد الحكام على الفراسة وحسن الظاهر في اختيار الحكام وولاة الأمر، لذلك وضع أسسًا لاختيارهم، أهمها معرفة ماضي الموظف وسلوكه المثبت عبر التحقيق والخبرة وإخلاصه لله والأمة، يقول (عليه السلام): «ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ»[٣٨].

٣. الرشوة.

إمعانا في التصدي للفساد أمر بدفع رواتب كافية للموظفين، وذلك لمنعهم من اللجوء إلى الرشوة في وضع اقتصادي معين يدفعهم إلى الخيانة فقال (عليه السلام): «ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ»[٣٩].

وفرض عقوبات على كل من يسيء باستغلال عمله، وهي على ثلاثة أنواع:

- العقوبة البدنيّة.
- مصادرة الأموال المختلسة والتغريم.
- العقوبة المعنوية كالتشهير وغيره.

يقول (عليه السلام): «فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا

أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ»[٤٠].

ضرورة التفتيش الإداري والمحاسبة

ورد لفظ (تفقد) في نهج البلاغة بمعنى الإشراف، فالرقابة أمر ضروري لاستمرار العمل الإداري، وهو ما يعرف اليوم بالرقابة الإدارية، إذ يقوم هذا المبدأ على أساس المراقبة والمحاسبة على من يقع منهم أخطاء وتجاوزات.

وقد وضع الإمام علي (عليه السلام) قانون الرقابة والتفتيش الإيجابي عبر المنظور الإسلامي الهادف. إذ أوصى باعتماد الرقباء من أهل الصدق والإخلاص والصلاح يقول (عليه السلام):

«ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ، مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ، وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ»[٤١].

حتى لا يتحول الفساد إلى ظاهرة تستعصي الحلّ، وقد عمل (عليه السلام) على مكافحة الفساد الإداري والمالي والسياسي عن طريق:

- الشفافية والعلانية.
- المساءلة.
- مراقبة مواطن الخلل.
- الإشراف المباشر، ومراقبة الأحداث والأمور السياسيّة والاجتماعيّة، والموظفين التنفيذيّين، والإحاطة التامّة بكل ما يجري من أمور، والعمل على حلّ المشاكل المستعصية. وفهم حاجات الأفراد ورغباتهم، وهذا يؤدي إلى السلوك الصحيح في التعامل وزيادة الإنتاج.

إنَّ الحاجة اليوم ملحّة لتحقيق البناء الحضاري الإسلامي، في زمن العنف والتطرف، وانتشار الإلحاد وازدياد الفجوة بين الغرب والعالم الإسلامي، وكثرت الشُّبهات

والصور المُشَوَّشة عن المجتمع الإسلامي، نتيجة تراكُمات الواقع المُتَرَدِّي الذي تعيشه الأمَّة الإسلاميَّة.

إنَّ الرصد المعرفي والعلمي الذي بيّنّا عن طريقه بعض مؤشرات الإصلاح الإداري في نهج البلاغة، يحتاج إلى تلمس هذه المنهجية العلوية ونشرها، واستعمالها كَحَلٍّ للإشكالات الأساسيّة والأزمات التي تعيشها الأمّة الإسلاميّة، التي عجزت عن تفعيل تراثها الثقافي لجهلها بقيمها الحضاريّة وذلك يعود إلى:

- قلة الكتابات والأبحاث التي تتحدث عن الجوانب الإنسانيّة والحضاريّة في الفكر الإسلامي.
- تشويه صورة الإسلام الحقيقية.
- التأثر بالسلطات الحاكمة والاتجاهات الحزبية والعصبية.
- ابتعاد المنهجيّة عن التراث الدينّي لأمة ممتدة، في الزمان والمكان.

التوصيات

لكي نسهم فعلاً في بناء دول حضارية إنسانية، لا بد من توظيف الأنظمة والأفراد، والمؤسسات، ونقل قيم الفكر العلوي باب العلم والمعرفة للحضارة الاسلامية إلى الآخر وبهذا نوصي:

١. صياغة أُفُق تواصُل بنَّاء كفيل بضمان دائرة حضاريَّة وثقافيَّة إنسانيَّة، وتقديم خطاب معرفي إنساني، منبثق من نهج البلاغة.

٢. ضرورة وجود مادة علمية تتعلق بموضوعات نهج البلاغة. وتكون ضمن البرامج التلفزيونية والمناهج الدراسية في الجامعات والمعاهد والكليات والمدارس.

٣. ضرورة إعداد مشروع بحثي مؤسسي ضخم يقوم على قراءة حضارية لنهج البلاغة؛ يسهم فيه المتخصصون كافة في العلوم النظرية والتطبيقية.

الهوامش:

(١) عبد الرحمان، تيشوري، التنمية الإدارية والإصلاح الإداري، الحوار المتمدن، العدد ١٤٢١.

(2) Donald. J. Clough,concepts in Management. Science prentice hall, India 1968, p 27.

(٣) والدو داويت، دراسة الإدارة العامة، ص ٢٢. القاهرة ١٩٨٢.

(٤) عبد الوهاب علي محمد، مقدمة في الإدارة، ص ١٢. معهد الإدارة العامة ١٩٨٢.

(٥) الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص ٤٥٠، مؤسسة الأعلمي، ط٥، ١٩٨٩، بيروت. ٣/ ٣٠١.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، ١٩٨٩م، بيروت. ٢/ ٢٢٣.

(٧) نهج البلاغة: خ ٩٢.

(٨) المصدر نفسه، ك ٥٤.

(٩) المصدر نفسه، خ ٩٢.

(١٠) نهج البلاغة، خ١٣١. ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ١٢٠. النعمان، دعائم الإسلام، ص ٥٣١.

(١١) نهج البلاغة، ك٥٣. النويري، نهاية الإرب، ٦/ ١٩.

(١٢) محمد علي محمد، دراسات في علم الاجتماع السياسي، ص ٢٢٥. (الإسكندرية، ١٩٧٥).

(١٣) نهج البلاغة، ك ٥٣.

(١٤) المصدر نفسه، ك٥٨.

(١٥) المصدر نفسه، ك ٥٣.

(١٦) المصدر نفسه، ك ٥٣.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) المصدر نفسه ك/ ٥٣.

(١٩) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢١) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٢) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ك/ ٦٧.

(٢٤) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٧) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٢٨) محمد مهدي شمس الدين، عهد الأشتر، ص ٤٨.

(٢٩) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٤٤٢.

(٣١) الحراني، تحف العقول، ص ١٢٦، النعمان، دعائم الإسلام، ص٣٥٠، النويري، نهاية الإرب، ج/ ٦، ص ١٩.

(٣٢) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.

(٣٣) نهج البلاغة، ك/ ٥٣.

(٣٤) المصدر نفسه، ح ٥٤.

(٣٥) المصدر نفسه، ح ٢١١.

(٣٦) المصدر نفسه، خ ٢١٦.

(٣٧) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٣٨) نهج البلاغة ك/ ٥٣.

(٣٩) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٤٠) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.

(٤١) المصدر نفسه، ك/ ٥٣.